الخطب المنبرية

استقامة بلا هوى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله حَمْدًا يُبَلِّغنا رِضاه، ويُوَفِّقُنا جميعًا لِمَا أَحَبَّه وارتضاه. وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له فلا مَعْبُود حَقٌّ سواه، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ومُصطفاه.

اللَّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صَلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ، اللَّهمَّ باركْ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

اتَّقوا رَبَّكم حَقَّ التَّقوى، وتَمَسَّكُوا مِن دينكم بِعُرْوَتِه الوُثْقَى؛ فَوَحِّدوا رَبَّكم، وأَطِيعوا نَبِيَّكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالزَمُوا جماعةَ المسلمين؛ فإِنَّ يَدَ الله مع الجماعة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر:١٨].

وَاعْلموا - رَحمكم الله - أَنَّ من حِكمة الشَّـريعة: جَمْعَها الأمورَ الجليلة، في الألفاظ القليلة. فرُبَّما عُبِّر عن معنًى عظيمٍ بكلمةٍ واحدةٍ فقط.

ومِن جملة ذلك: كلمة الاستقامة؛ فهذه الكلمة - ذات الحروف القليلة - أُمِرَ بِها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آيَتَيْن مِن القرآن؛ فَقِيل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود:١١٢]، وقِيل له: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى:١٥].

وإليها أَرْشَد النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا مِن أصحابه لَمَّا سألَه أَنْ يقول له في الإسلام قولًا لا يسأَلُ عنه أحدًا بعده؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»[(١)].

وهذه الكلمةُ العظيمةُ هي جِماعُ الخير في الدُّنيا والآخِرة؛ فمَنْ أَدْرَكها حَصَل له الخيرُ العاجِلُ والآجِلُ، في الأُولى والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ

(١) أخرجه مسلمٌ (٣٨)، مِن حديث سُفيانَ بنِ عبد الله الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

[فُصِّلت].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجنّ]؛ أي ماءً كثيرًا يَحصُل به استقامة معاشِهم في الحياة الدُّنيا.

فالاستقامة جِمَاعُ الخير في الأُولى والآخرة.

وحقيقة هذه الكلمة: أَنَّها إقامةُ العبدِ نَفسَه على ما أَمَرَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به؛ ذلك أَنَّ الله خَلَقنا لعِبادتِه، وأرسلَ إلينا خَيرَ رُسُلِه، وهو مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَمَرَ ونَهَى، ووَعَظَ وزَجَر، وبَشَّر وأَنْذَر؛ فمَنْ كان على ما كان عليه النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو المستقيم.

فإذا أردتَ أَنْ ترى مقامَك مِن الاستقامة، فَانْظُرْ إلى حَظِّك مِن امتثال دِينِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإذا كنتَ مُصَدِّقًا بخبَرِه، مُتَّبِعًا أَمْرَه، مُجتَنِبًا نَهْيَه = فإِنَّك حينئذٍ مستقيمٌ، ولك الوَصْفُ الأعلى، والقِدْحُ المُعَلَّى مِن كلمة (الاستقامة)، ولَيَكونَنَّ لكَ مِن خَيرِها العاجل والآجل القَدْرُ الكبيرُ.

فاستقيمُوا - أَيُّها المُؤمنون - كما أُمِرْتُم؛ تُفْلِحوا في أُولاكم وأُخرَاكُم.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه؛ إِنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخطبة الثَّانية

إِنَّ الحَمْد لله أَحمده - سبحانه - حَمْدًا حَمْدًا، وأشكُرُه - جَلَّ - شُكْرًا شُكْرًا. وأشهدُ أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صَلَّى وسَلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تَبِعهم مُحسِنًا إلى يوم الدِّين.

أَمَّا بَعد:

أَيُّها المؤمنون!

إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تفخيمًا لمقام الاستقامة، وتعظيمًا للأمر بِها؛ جَعَلَ الخطابَ بِذلك مُوَجَّهًا إلى النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقِيلَ له: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود:١١٢]، وقِيل له: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[الشُّورى:١٥].

وتوجيه الأمر إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمٌ للمأمور به؛ وكما هو أَمْرٌ له، فإِنَّه أَمْرٌ لنا.

فيجب علينا أَنْ نستقيمَ كما أَمَرنا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بأَنْ نَتَّبِع الدِّينَ الَّذي جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا تَتِمُّ هذه الاستقامةُ إِلَّا بِأَمْرٍ ذَكَره الله عَزَّوَجَلَّ بَعْدُ ناهِيًا عنه؛ لَمَّا قال لِنَبِيِّه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [الشُّورى:١٥]؛ ذلك أَنَّ الاستقامة على المأمور اتِّباعٌ للهُدى.

ويُنازَع العبد باستقامته على الهُدى بالأهواء المُزَلْزِلة المُزعِجَة؛ الَّتي يُبْدِيها النَّاسُ بِرَأْيٍ أو نَظَرٍ أو ذَوْقٍ أو وَجْدٍ أو مَصْلحةٍ، أو غيرِ ذلك مِمَّا يَبْعَثُهم على أَنْ يقولُوا شيئًا أو أَنْ يفعلوا شيئًا لا كما أُمِرُوا به.

فلا يَتِمُّ للعبدِ استقامَتُه على أَمْرِ الله، إِلَّا بتخْلِيصِ نفسِه مِن الأهواء، وهي الأقوالُ والأفعالُ الاعتقاداتُ الَّتي لا تُبنَى على أَمْرٍ شرعيٍّ، وإِنَّما يقترحها أصحابُها، ويبتَدِئون بِها؛ مَبْنِيًّا ذلك عندَهم على نَظَرٍ أو فِكْرٍ أو رَأْيٍ أو ذَوْقٍ أو عادةٍ أو غير ذلك مِن بواعث الأقوالِ والأفعالِ والاعتقاداتِ والأحوال؛ الَّتي لا تُشَيَّدُ على أصولٍ شرعِيَّةٍ، ولا تُبنَى على قَواعِدَ مَرْعِيَّةٍ.

فاستقيموا - رَحمكم الله - كما أُمِرْتُم، واحْذَرُوا مِن الأهواء.

احذروا مِن الأهواء؛ الَّتي يَقْتَرحها مَنْ يقتَرِحُها مِن النَّاس، ويحمِلُهم على ذلكَ أشياءُ مختلِفةٌ، لا يُبنَى شيءٌ منها على هُدَى؛ فَاحْذَرُوا على دِينِكم مِن الأهواء الَّتي صارت تَعْصِف بأديان النَّاسِ وتُزَلْزِلهم، فتُزَيِّن لهم الشَّياطينُ اعتقاداتٍ أو أقوالًا أو أفعالًا أو أحوالًا لا تُبنَى على دليلٍ شرعيٍّ.

وغايةُ ما يقول المرء حين ذلك: (إِنَّه رأيِي، أو نَظَرِي، أو فِكْري، أو ذَوْقي، أو وَجْدي، أو تقديري)! ويَظُنُّ أَنَّ دينَ الله عَزَّوَجَلَّ مَرْتَعٌ خَصْبٌ للآراء والأفكار

والأذواق والمَواجِيد الَّتي يَدَّعي بِها الإنسان ما يَدَّعي مِنِ اعتقادٍ أو قَوْلٍ أو فِعْلٍ أو حالٍ.

فَأَقِيمُوا نَفْسَكم على دينِ الله، وَاحْذَروا مِن الأهواء المُرْدِية، والآراء المُزْرِية؛ الَّتي تَنْأى بأصحابِها عن دينِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

واسْأَلُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُثَبِّتكم على دينه حَتَّى تَلْقَوه – سبحانه –؛ فإِنَّ معرفةَ الهُدى خيرٌ، وإِنَّ الثَّبات عليه حَتَّى يلقى العبد رَبَّه أعظمُ الخيرِ.

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَنْ يُحْيِينا على الإسلام والسُّنَّة.

اللَّهمَّ أَحْيِنا مُسْلِمِين، وتَوَفَّنا مُسْلِمِين.

اللَّهمَّ احفظْنا بالإسلام قائِمِين، واحفظْنا بالإسلام قاعِدِين، واحفظْنا بالإسلام نائِمِين.

اللَّهمَّ أَحْيِنَا على خير حالٍ، وتَوَفَّنا على خير حالٍ، واقْلُبْنا جميعًا إلى خير المآل.

اللَّهمَّ آتِ نُفُوسَنا تَقْواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنتَ وَلِيُّها ومولاها.

اللَّهمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمان، اللَّهمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمان، اللَّهمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمان، وزَيِّنْه في قلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكُفر والفُسوقَ والعصيان.

اللَّهمَّ أَرِنا الحَقَّ حَقًّا وارْزُقْنا اتِّباعه، وأَرِنا البَاطِلَ باطلًا وارزُقْنا اجتنابه.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَب المَكْرُوبِين، ونَفِّسْ همومَ المهمومين، وَاقْضِ الدَّينَ عن المَدِينِين، وَاشْفِ مَرَضَنا ومَرْضَانا ومرضَى المسلمين.

اللَّهمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنا لِمَا تُحِبُّ وترضى، وخُذْ بِنَاصِيَته للبِرِّ والتَّقوى. اللَّهمَّ ارزُقْه البِطانةَ الصَّالحة النَّاصحة، وجَنِّبْه بِطَانةَ السُّوء.